مغالطة الإحراج الزائف في خطابات المشركين في القرآن الكريم –بين التفسير والتداولية

The fallacy of false embarrassment in the discourses of polytheists in the Qur'an - between interpretation and deliberation

فاطنة سويح *، أبوبكر زروقي[2]

[1] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، مخبر وحدة التكوين و البحث في نظريات القراءة و مناهجها

fatna.souiah@univ-biskra.dz

[2] جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، aboubaker@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/30 تاريخ القبول: 2023/05/12 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص:

تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على ظاهرة خطابية، لربما كانت على الدوام ممارسة دارجة في الفاعلية الحوارية، يختفي وراءها كل عاجز عن صوغ الحجة الدامغة المستقيمة، في سبيل كسب تلك المبارزة الفكرية بطرق ملتوية، وحجج واهية معوجّة، يتعلّق الأمر بالمغالطة، التي هي على أنواع عدّة، ولقد اخترنا نوعا واحدا من بينها، يتعلّق الأمر بمغالطة "الإحراج الزائف" وربطها بخطابات المشركين في القرآن الكريم من خلال كتب التفسير والتداولية.

الكلمات المفتاحية: القرآن؛ التفسير؛ التداولية؛ المغالطة؛ الإحراج الزائف.

Abstract:

The study seeks to shed light on a rhetorical phenomenon, which may have always been a common practice in dialogue effectiveness, behind which everyone who is incapable of formulating a straight, irrefutable argument hides, in order to win that intellectual duel in crooked ways, and crooked flimsy arguments. Several, and we have chosen one type among them, it is related to the fallacy of "false embarrassment" and linking it to the discourses of the polytheists in the Qur'an through books of interpretation and deliberation.

Keywords:The Quran; interpretation; deliberative ; fallacy ; False embarrassment.

المؤلف المرسل: فاطنة سويح، **الإيميل**: fatna.souiah@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

يعتبر الحجاج من المباحث المهمة التي شغلت بال العلماء واللغويين قديما وحديثا، وتتمحور غاية في الإقناع الذي يسعى المتحاوران إلى تحقيقه، وذلك باستعمال الحجج المقنعة والمؤثرة تلك التي تجعل من المحاورة تسير في اتجاهها المستقيم، ولكن قد تنحرف الحجة أحيانا بانتهاك تلك القواعد والضوابط، فتصبح الحجة أحيانا بانتهاك تلك القواعد والضوابط، فتصبح الحجة معوجّة تحمل مقاصد تضليلية، تلك التي يصطلح عليها "المغالطة".

وهذا النوع من الحجج وارد بكثرة في القرآن الكريم متمثلا في حجج المشركين في خطاباتهم.

إشكالية الدراسة:

تتمحور الإشكالية الكبرى للبحث حول "مغالطة الإحراج الزائف" هل هي مستعملة في خطابات المشركين في القرآن الكريم؟

وتتفرع بعض الأسئلة عنها:

1. ما المقصود بمغالطة الإحراج الزائف؟
2. ما العلاقة التي تربط مغالطة الإحراج الزائف بخطابات المشركين؟
3. كيف ردت كتب التفسير وكتب التداولية على هذا النوع من المغالطة؟

أهداف البحث:

1. التعريف بمغالطة الإحراج الزائف.
2. استخراج الآيات المتضمنة مغالطة "الإحراج الزائف" في القرآن الكريم
3. شرح مغالطة "الإحراج الزائف" الواردة في خطابات المشركين في القرآن الكريم.

منهجية البحث:

1. **منهج البحث:** تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي نراه الأنسب لمثل هكذا دراسة.

2. **صعوبات البحث:** لا يمكن القيّام بأيّ بحث دون صعوبات، وصعوبات هذا البحث تكمن في قلة الدراسات التي تبحث في المغالطات، وإن وُجدت فهي عبارة على مقالات مبثوثة في كتب تجمع أعمال ملتقيات، أو نجدها في مجلات، بيد أن الكتب المصادر المستقلة بذاتها فنادرة جدّا.
3. **حدود الدراسة:** يُعتبر هذا البحث جزئية دراسة فقط من موضوع شاسع، ألاّ وهو "الحجاج المغالطي"، أمّا دراستنا فجزئية متمثلة في "مغالطة الإحراج الزائف".

أولا:الدراسة النظرية:

1. التداولية:

تعرف التداولية «بأنّها دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام الذي تعنى به تحديدا اللسانيات، وإذا تحدّثنا عن استعمال اللغة فلأنّ هذا استعمال ليس محايدا، من حيث تأثيراته، في عملية التواصل ولا في النظام اللغويّ في حد ذاته، فمن ناقل القول، فعلا أن نشير إلى أنّ بعض الكلمات (المشيرات الدالة على الزمان أو المكان أو الأشخاص من قبيل الآن وهنا وأنا) لا يمكن تأويلها إلاّ في سيّاق قولها. وأقلّ سذاجة أن نذكر بأننا، عند التبادل اللّغوي، نبلّغ من المعاني أكثر مما تدّل عليه الكلمات، وليس من الساذج أن نقول أخيرا إنّ استعمال الأشكال اللغويّة ينتج عنه بالمقابل إدراج للاستعمال في النظام نفسه. فمعنى القول يقوم على شرح لظروف الاستعمال أي لأداء ذلك القول»(موشلر و ريبول، 2010، صفحة 21).

2. الخطاب:

يتردد لفظ «الخطاب كثيرا بالاقتران بوصف آخر، مثل الخطاب الثقافي، الخطاب الصوفي، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي. لذلك ورد الخطاب بتعريفات متنوّعة في هذه الميادين العديدة، بوصفه فعلا، يجمع بين القول والعمل، فهذا من سماته الأصليّة»(الشهري، 2004، صفحة 34).

والخطاب «إنجاز في المكان يقتضي لقيامه شروطا، أهمها المخاطِب والخطاب والمخاطَب، وهو وحدة تواصلية تبليغية ناتجة عن مخاطب معيّن في سياق معين يدرس ضمن ما سمي بلسانيات الخطاب، وبالرغم من أنّ الخطاب يتوسل دائما اللغة في غاياته فإنّ جوهره في حقيقة الأمر ليس لغويا، إذ هو مجموعة من النوايا التي تتحقق بوساطة اللغة، ومن أهم وظائف اللغة التي نادى بها جاكيسبون وأولاها

اهتماما بالغا وظيفة التواصل التي تتيح للإنسان الاتصال بغيره من بني جنسه، إلاّ أنّ لهذه الوظيفة طابعا ثنائيا أيضا يكمن في وجود شكلين من التواصل: التواصل بالكلام والتواصل بالكتابة»(بوقرة، 2009، صفحة 15).

3. التفسير:

التفسير «علمُ نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ومكيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامّها، ومطلقها ومقيّدها، ومجملها ومفسّرها وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها»(الخالدي، 1996، صفحة 26)، أو هو «علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد، من حيث دلالته على مراد الله، بقدر الطاقة البشرية»(الخالدي، 1996، صفحة 27) .

4. المغالطة :

تعرّف المغالطة عل أنها: «نمط من الحجاج، لكنه يستعمل على نحو غير مناسب، وهذا ما يفيده المعنى اللغوي للكلمة، فالغلط أن تعيا بالشيء فلا تعرف وجه الصواب فيه»(علوي، 2011، صفحة 131)؛ أي أنّها استدلالات خاطئة تبدو وكأنّها صحيحة، كونها مقنعة سيكولوجيا، وغير مقنعة منطقيا لغموضها اللغوي أو لأسباب أخرى، فهي: «نوع من العمليات الاستدلالية التي يقوم بها المتكلّم، وتكون منطوية على فساد في المضمون أو الصورة، إمّا بقصد أو دون قصد»(الراضي، 2010، صفحة 13)، وتسمى المغالطة سفسطة و«لقد عرّف أرسطو السفسطة بكونها استدلالا صحيحا في الظاهر معتلاّ في الحقيقة، وجعل الغرض من وراء دراستها هو معرفة الحيل التي يلجأ إليها السفسطائيون حتى يكون الناظر بمنأى عن الوقوع في شراكهم، وذلك بأن يعرف كيف يميّز الأقيسة السليمة والمقدمات المشروعة عن غيرها مما يدخل في باب السفسطة، فلزم غذن بحسب هذا المنظور على كل من أراد الاشتغال بالعلم (البرهان) أو الجدل أن يحيط أيضا بالسفسطة حتى يتحرر من الوقوع في حيلها المغلّطة، خصوصا أنّ هناك شبها كبيرا بينها وبين الخطابة».(الراضي، 2010، صفحة 64)تعتبر المغالطة عند هامبلن حجة غير صالحة ضمنيا بيد أنّها صالحة ظاهريا أي «أنّه يرى المغالطة، من تعيفها كحجة معيبة، ولقد أخذ كل أنواع

المغالطات التي تم تصنيفها منذ تصنيفها منذ أرسطو (في التفنيدات السفسطائية) كالالتباس L'équivoqueوالإبهام L'amphibologie، والخلط والتقسيم La Composition et la divisionوالعارض L'accident، والمصادرة على المطلوب، وتأكيد اللازم L'affirmation du conséquent والسبب الخطأ La fausse cause، والسؤال المتعدد ومجموعة حجج الاستدعاء التي تبدأ بـ: (ad) كالحجة باستخدام شخص خصم ad hominum، والحجة باستخدام الصلاحية ad verecundiam، والحجة باستخدام الجهل بالشيء ad ignorantiam»(فيليب بروتون وجيل جوتييه ، ترجمة: مُحَمَّد صالح ناحي الغامدي، 1432-2011، صفحة 73).

وجلّ التعريفات التي أحيطت للمغالطات «تجمع على أنّها استدلالات فاسدة أو غير صحيحة تبدو وكأنّها صحيحة، لأنّها مقنعة سيكولوجيا، لا منطقيا، وذلك لاختفاء هذا الغلط وراء الغموض اللغوي أو الإثارة العاطفية، أو لعدم الانتباه إلى ما به من مخالفة للقواعد المنطقية ولذلك لا يظهر فساده أو عدم صحته إلاّ بالفحص الدقيق»(علوي، التحاجج والتناظر آليات كشف التغليط وآداب التناظر في تراث ان حزم الأندلسي، صفحة 131).

ثانيا: الدراسة التطبيقية:

1. مغالطة الإحراج الزائف:

تسمى كذلك مغالطة التقسيم المخطئ، أو مغالطة المعضلة المخطئة، أو مغالطة الكل أو اللاشيء، أو مغالطة إمّا أو، أو مغالطة الخيار المخطئ، أو مغالطة الوسط المقصى، أو مغالطة لا حلّ وسط، أو مغالطة الاستقطاب، أو الإحراج الكاذب.

في هذه المغالطة يتمّ «بناء الحجة على خياران لا أكثر، وقد يكون الصحيح في خيار ثالث، ومن الناس من يستخدم هذه المغالطة يجعل أحد الخيارين واضح البطلان ليجبر الخصم على اختيار الآخر الذي يخدمه»(الدوسري ف.، 2021، صفحة 52).

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الذِّيْنَ لاَ يَرْجُوْنَ لِقَاْءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الملاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ الآية 21 سورة الفرقان، يفسر الطاهر بن عاشور هذه الآية بقوله: «حكاية مقالة أخرى من مقالات تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد عنون عليهم في هذه المقالة بـ "الذين لا يرجون لقاءنا" وعنون عليهم في المقالات السابقة بـ "الذين كفروا" وبـ "الظالمون" لأنّ بين هذا الوصف وبين مقالتهم انتقاض، فهم قد كذّبوا بلقاء الآخرة بما فيه من رؤية الله والملائكة، وطلبوا رؤية الله في الدنيا، ونزول الملائكة عليهم في الدنيا، وأرادوا تلقي الدين من الملائكة أو من الله مباشرة، فكان في حكاية قولهم وذكر وصفهم تعجيب من تناقض مداركهم»(بن عاشور، 1984، صفحة 5).

وقد نطلق على هذه المغالطة «مغالطة الإحراج الكاذب أو إمّا هذا أو ذاك. وتحضر في الحالة التي يقضي فيها المتكلّم إلى وضع المخاطب أمام خيارات محصورة، بالرغم من وجود خيارات أخرى غير تلك المحددة، وغالبا ما يوضع المستهدف أمام خيارين لا ثالث لهما، لنجبره على الاختيار بين هذا وذاك»(الباهي، 2014، صفحة 386)

ففي الآية السابقة «أهل الشرك شهدوا أنفسهم بإنكار البعث وتوهّموا أنّ شبهتهم في إنكاره أقوى حجة لهم في تكذيب الرسل، واستعمال الحرف "لولا" وهو حرف تحضيض مستعمل في التعجيز والاستحالة أي هلا أنزل علينا الملائكة فنؤمن بما جئت به، يعنون أنّه إن كان صادقا فليسأل من ربّه وسيلة أخرى لإبلاغ الدين إليهم»(بن عاشور، 1984، صفحة 5).

وما هو إلاّ بشرا رسولا، والكفار قد استعملوا هذا النوع من المغالطة لحصر الخيارات في خيارين لا ثالث لهما، وهما "نزول الملائكة في الدنيا" أو "رؤية الله تعالى في الدنيا"، وهذه مغالطة الإحراج الكاذب أو مغالطة إمّا هذا أو ذاك، ثم إنّ هذا تناقض فهم لا يرجون لقاء الله أصلا ويكذبون باليوم الآخر، فكيف يطلبون رؤية الله ونزول الملائكة في الدنيا؟! ما هذه إلاّ مغالطة من مغالطاتهم، وتنقض في الرأي، بغرض التعجيز والإحراج وهذا النوع من المغالطة نجده بكثرة في كلامهم في أكثر من موضع من القرآن الكريم، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاْءَ مَعَهُ المِلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِيْنَ﴾ الآية 53 سورة الزخرف.

ففي هذه الآية مغالطة فرعون لموسى عليه السلام، وهي مغالطة "الإحراج الكاذب" وتسمى كذلك "الإحراج الزائف" أو مغالطة "أبيض أو أسود"، ففرعون حصر صدق موسى عليه السلام بين خيارين اثنين، وهما "إلقاء عليه أسورة من ذهب" أو "مجيء الملائكة معه مقترنين" و«فرعون لجهله أو تجاهله يخيّل لقومه أنّ للرسالة شعارا كشعار الملوك»(بن عاشور، 1984، صفحة 232) .

وفي كلام فرعون تناقضا فهو لا يثبت وجود الملائكة بالمعنى المعروف عند أهل الدين الإلهي، فكيف يذكر مجيء الملائكة مع موسى؟! «لعلّ فرعون ذكر الملائكة مجاراة لموسى إذ لعلّه سمع منه أنّ لله ملائكة أو نحو ذلك في مقام الدعوة فأراد إقحامه بأن يأتي معه بالملائكة يظهرون له»(بن عاشور، 1984، صفحة 232).

والقضية «قد تتوفر في الأصل على أكثر من بديلين، لكننا تقدمها بشكل نجعل المخاطب أمام خيارين فقط، بهذا يقع ضحية التغليط بمجرد ما يضع الخيارين في تقابل، ويسلّم بأنّ أحدهما لابد أن يكون صحيحا، والآخر باطلا، في حين قد يكونا غير صحيحين معا. وقد يكون هذا في أغلب الأحيان إلى استخدام آليات قائمة على التضاد بطريقة غير مشروعة»(الباهي، 2014، صفحة 187).

ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾ الآية 15 سورة يونس.

في الآية الكريمة مغالطة في قول المشركين الذين تليت عليهم آيات الله، الذين لا يرجون لقاء الله، وهذه المغالطة هي مغالطة "الإحراج الكاذب"، فالذين لا يرجون لقاء الله استعملوا أسلوبا من أساليب التكذيب، وقد حصروا صدق النبي ﷺ في اختيارين اثنين، الأوّل هو "الإتيان بقرآن غير الذي أنزله الله تعالى" والثاني أو "تبديله"، «فهم يتوهمون أنّ القرآن وضعه النبي صلى اله عليه وسلم من تلقاء نفسه، ولذلك جعلوا من تكذيبهم أن يقولوا له: "ائت بقرآن غير هذا أو بدّله" إطماعا له بأن يؤمنوا به مغايرا أو مبدّلا إذا وافق هواهم»(بن عاشور، 1984، صفحة 116).

وتتواصل أساليب التكذيب والمغالطات التي ينتهجها المشركون في رفض الدعوة، والآيات تلك التي ذكرت هذه المغالطات، منها نذكر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الذِّيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ لَوْلاَ يُكَلِمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِيْنَآ آيَةً﴾ الآية 117 سورة البقرة، «إنّ الله تعالى عنى بقوله: ﴿ وَقَالَ الذِّيْنَ لاَ يَعْلَمُوْنَ﴾ النّصارى دون غيرهم؛ لأنّ ذلك في سياق خبر الله عنهم، وعن افترائهم عليه، وادّعائهم له ولدا، فقال جلّ ثناؤه مخبرا عنهم، فيما أخبر عنهم من ضلالتهم: أنّهم مع افترائهم على الله الكذب بقولهم: ﴿ اِتَخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾، تمنّوا على الله الأباطيل، فقالوا جهلا بالله وبمنزلتهم عنده، وهم بالله مشركون: ﴿ لَوْلاَ يُكَلِمُنَا اللهُ﴾ كما يكلّم رسله وأنبياءه، أو تأتينا آية كما أتتهم؟ ولا ينبغي لله أن يكلّم إلاّ أولياءه، ولا يؤتي آية معجزة على دعوى مدّع إلاّ لمن كان محقّا في دعواه وداعيا إلى الله وتوحيده؛ فأمّا من كان كاذبا في دعواه وداعيا إلى الفِرية عليه، وادعاء البنين والبنات له، فغير جائز أن يكلّمه الله جلّ ثناؤه، أو يؤتيه آية معجزة تكون مؤيدة كذبه وفريته عليه»(الطبري، 1994، صفحة 364) .

الخاتمة:

في نهاية هذه الدراسة يكمن أن نلخص إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها على النحو الآتي:

1. المغالطة استدلال صحيح في الظاهر، معتل في الحقيقة، مرادفة للاستدلال الخاطئ، كونها منطوية على فساد في المضمون أو الصورة قصدا أو دون قصد.

2. يعتبر الخطاب وحده تواصلية تبليغية ناتجة عن مخاطب معيّن في سياق معيّن يدرس ضمن ما سمي بلسانيات الخطاب.

3. مغالطة "الإحراج الزائف" تنتج عن الحالة التي نتّبع فيها أساليب الزيف والكذب والإحراج بغية الدفع بشخص ما إلى القبول بنتيجة معيّنة.

4. في مغالطة "الإحراج الزائف" يكتفي المغالط باللجوء إلى منطق الإحراج والزيف والكذب، متجاوزا بذلك عب البحث عن حجة.

5. الأمثلة الواردة في القرآن الكريم تلك التي تتكلم عن مغالطة "الإحراج الزائف" كثيرة، تتمثل في تلك الحجج الواهية التي يستعملها المشركين في خطاباتهم، وهدفهم من ذلك هو رفض ما جاء به الرسل وتكذيبهم وتكبرهم، فلقد احتكم المشركون إلى الإحراج الزائف والكاذب، بدلا من الحجة.

6. إنّ وجه البطلان في مغالطة "الإحراج الزائف" تكمن في كون استثارة الإحراج والزيف لا ينبغي أن تكون وسيلة لإثبات صدق قضية ومقبوليتها العقلية.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات:

جاك موشلر، و آن ريبول. (2010). *القاموس الموسعي للتداولية*. تونس: دار سيناترا.

حافظ إسماعيلي علوي. *التحاجج والتناظر آليات كشف التغليط وآداب التناظر في تراث ان حزم الأندلسي*.

حافظ إسماعيلي علوي. (2011). *التحاجج والتناظر آليات كشف التغليط وآداب التناظر في تراث ابن حزم الأندلسي، ضمن كتاب الحجاج والاستدلال الحجاجي -دراسة في البلاغة الجديدة-* (المجلد ط1). دار ورد الأردنية، المملكة المغربية.

حسان الباهي. (2014). *المغالطات في الخطاب اليومي-مقاربة تداولية*. الأردن: عالم الكتب الحديث.

رشيد الراضي. (2010). *الحجاج والمغالطة من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار* (المجلد ط1). بيروت، لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.

صلاح عبد الفتاح الخالدي. (1996). *التفسير والتأويل في القرآن*. الأردن: دار النفائس.

عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2004). *استراتيجيات الخطاب -مقاربة لغوية تداولية*. بنغازي: دار الكتاب الجديد.

فواز هايف بن جريس الدوسري. (2021). *ومضات في كشف المغالطات -مختصر في المغالطات المنطقية مع تطبيقات شرعية* . مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء.

فواز هايف بن جريس الدوسري. (2021). *ومضات في كشف المغالطات -مختصر في المغالطات المنطقية مع تطبيقات شرعية*. د ب: دار طيبة الخضراء.

فيليب بروتون وجيل جوتييه ، ترجمة: مُحَمَّد صالح ناحي الغامدي. (1432-2011). *تاريخ نظريات الحجاج، الطبعة الأولى*. جدة: مركز النشر العالمي.

مُحَمَّد الطاهر بن عاشور. (1984). *تفسير التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية.

مُحَمَّد بن جرير بن يزيد الطبري. (1994). *جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)*. بيروت: مؤسسة الرسالة.

نعمان بوقرة. (2009). *المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب -دراسات معجمية*. عمان: جدار للكاب العالمي.